المجاهـد

أبو أيوب الأنصاري

رضي الله عنه

ليس في ميدان القتال وحده يمكن أن تنال الشهادة

كان المشهد في غاية الهيبة والروعة والجمال..

الآلاف من الناس في المدينة، خرجوا إلى الشوارع ووقفوا فوق أسطح المنازل وفي نوافذ البيوت، واعتلى بعضهم سيقان النخل.. ينتظرون النبي ﷺ..

منذ أيام وهم ينتظرون على شوق قدوم الرسول ﷺ من مكة مهاجرا، يتضرعون إلى الله أن ينجح في هجرته دون أن تمسه قريش بسوء.

أربعة أيام في انتظار الحبيب.. كان الرسول ﷺ فيها يبني مسجد قباء.. و

« ها هو رسول الله ﷺ قد جاء».

صاح بها بكل قوته واحد من أهل المدينة بفرحة غامرة، كان يراقب مجيء الرسول ﷺ من أعلى نخلة عالية..

رجلان وناقة..

بالتأكيد فيهما رسول الله ﷺ..

وبسرعة.. أخذ الجميع يرددون نشيد الترحيب بالقدوم التاريخي لنبي الله ﷺ إلى المدينة..

طلع البدر علينا..من ثنيات الوداع..

طلع البدر علينا....ما دعا لله داع

عيد لم تشهده المدينة أبدا، وشرف يسجل لها وحدها دون بلدان العالم كله..

وبين عبارات الترحيب، ونظرات الشوق ، ومشاعر الزهو والعزة..كان يسير الرسول ﷺ وأمامه ناقته بين أهل المدينة..

كل يدعوه ويترجاه أن يتشرف بالنزول عنده.. و

« يا رسول الله، أقم عندنا، فلدينا العدد والعدة والمنعة»..

قالها في حماس شديد ممزوج بالتوسل، أحد أبناء دار سالم بن عوف بعد أن اعترضوا الموكب في محاولة لإقناع الرسول ﷺ بالنزول لديهم..

وينظر إليهم الرسول ﷺ باسما وفي عينيه لمحة اعتذار وهو يقول:

« خلوا سبيلها.. فإنها مأمورة».

ويمر الموكب على دار بني بياضة، فيعترضونه محاولين نيل الشرف والمكانة، ولكن الرسول ﷺ يعتذر شاكرا بنفس الجملة:

« خلوا سبيلها.. فإنها مأمورة».

ويكرر المحاولة حي بني ساعدة ثم حي بني الحارث.

ويدرك الجميع أن الأمر ليس بأيديهم، وأن عليهم أن ينتظروا حتى يختار الله البيت الذي سينال شرف إقامة رسول الله ﷺ.

العيون تترقب الناقة وهي تسير، وكأن البيوت والجدران تناديها وتترجاها أن تقف هنا وتستقر..

وأخيرا.. استقرت الناقة أمام أحد البيوت.. وصاحبها لا يكاد يصدق نفسه..

ولكنها ما إن بركت وسكنت قليلا، حتى نهضت تتحرك مرة أخرى وقلب صاحب البيت يتحرك معها، وأخذت تطوف المكان حتى هدأت واستقرت..

وبفرحة لا تعادلها فرحة، أخذ صاحب البيت زمام الناقة في سرعة ولهفة، ليربطها أمام المنزل، وأخذ بيد الرسول ﷺ يريد أن يحمله حملا إلى بيته الذي سيستقبل أول خطوة من خطوات خير البشر أجمعين..

ومنذ تلك اللحظة.. ولمدة سبعة أشهر كاملة..

كانت كل بيوت المدينة تتجه بأنظارها وقلوبها إلى بيت واحد..

بيت..

أبي أيوب الأنصاري.

* * *

كان أبو أيوب الأنصاري من القلائل - والقلائل جدا- من أهل المدينة الذين شاهدوا رسول الله ﷺ، قبل قدومه للمدينة..

فلقد كان أبو أيوب ضمن الثلاثة والسبعين رجلا والمرأتين الذين حضروا الاجتماع التاريخي الذي عاهدوا فيه الرسول ﷺ على نصرته مهما كانت الظروف والتحديات، في بيعة العقبة الثانية..

وها هو أبو أيوب يبدأ رحلة الوفاء بالوعد، فيؤوي رسول الله ﷺ حتى يستقر به المقام في المسجد النبوي الذي سيشرع في بنائه بعد أيام.

إلا أن ضيافة أبي أيوب لرسول الله ﷺ لم تكن لتمثل له شرفا عظيما فقط، بل كانت تمثل له أيضا مسؤولية جسيمة، في أن يقوم بضيافة خير البشر ﷺ خير ضيافة.

وعلى الفور.. عرض أبو أيوب على الرسول ﷺ أن يقيم في الطابق العلوي من بيته، والذي كان يتكون من طابقين، إجلالا لرسول الله ﷺ واحتراما لمقامه.

إلا أن الرسول ﷺ يعتذر لأبي أيوب، ويفضل أن يجلس في الطابق الأرضي، حتى يصبح من اليسير عليه إجراء المقابلات التي ستفد عليه من أهل المدينة..

ورغم اقتناع « أبي أيوب » بوجهة نظر الرسول ﷺ، إلا أنه نفسيا لم يكن ليتحمل أن يكون هو

وزوجته أعلى من رسول الله ﷺ..

ويبتسم له الرسول ﷺ قائلا:

« هون عليك يا أبا أيوب، إنه أرفق بنا أن نكون في السفل، لكثرة من يغشانا من الناس».

ولم يرد أبو أيوب أن يرهق الرسول ﷺ في طلبه، بعدما شعر برغبة الرسول ﷺ القوية في البقاء بالطابق الأرضي..

وبعد تهيئة المكان.. صعد أبوأيوب وزوجته إلى الطابق العلوي.

ولأول مرة يشعر أبو أيوب وزوجته بالقلق والاضطراب في بيتهما من جراء الوضع الجديد..

فرغم أنهما حاولا قدر استطاعتهما ألا يسببا للرسول ﷺ أي نوع من الإزعاج، إلا أنهما لم يتحملا أن يصبحا فوق رسول الله ﷺ، وبلغ القلق بهما، أنهما شعرا أنهما يقفان في طريق الوحي بين السماء وبين رسول الله ﷺ !!

كانت تلك الليلة ليلة مؤرقة لهما، حتى إنهما لم يناما فيها، بعد أن اتخذ كل منهما جانبا من جوانب الحجرة حتى يبتعدا عن منطقة وسط الحجرة، والتي ينام فيها رسول الله ﷺ في الطابق السفلي.

وما إن جاء الصباح، حتى هرع أبو أيوب إلى النبي ﷺ قائلا:

- والله يا رسول الله ما أغمض لنا جفن في هذه الليلة، لا أنا ولا أم أيوب.

فقال عليه الصلاة والسلام مندهشا :

« ومم ذاك يا أبا أيوب؟!»

قال أبو أيوب في خجل:

- ذكرت أني على ظهر بيت أنت تحته، وأني إذا تحركت تناثر عليك الغبار فآذاك، ثم إني غدوت بينك وبين الوحي.

فقال له الرسول ﷺ وهو يبتسم في رفق:

« هون عليك يا أبا أيوب، إنه أرفق بنا أن نكون في السفل، لكثرة من يغشانا من الناس».

وللمرة الثانية يمتثل أبو أيوب لرغبة الرسول ﷺ، ولكن الشعور بعدم الراحة لا يزال يساوره..

ولقد زاد هذا الشعور أضعافا في تلك الليلة..

ففي تلك الليلة، وقع إناء به ماء في الحجرة، فقام أبو أيوب وزوجته بسرعة يتناولان قطعة من القماش لامتصاص المياه قبل أن تتسرب إلى الرسول ﷺ في الدور الأرضي..

وفي الصباح نزل أبو أيوب إلى الرسول ﷺ متوسلا في إصرار أن يصعد إلى الطابق العلوي، وحكى له ما حدث من أمر الإناء في الليلة السابقة.

شعر الرسول ﷺ بعدها أن وجوده في الطابق السفلي سيسبب لأبي أيوب وزوجته قلقا وحرجا كبيرين، وأن هذا الأمر قد يتسبب في إرهاقهما نفسيا طيلة بقائه معهما..

فوافق الرسول ﷺ على الصعود إلى الطابق العلوي رحمة بأهل البيت الكريمين.. أبي أيوب وزوجته.

كان الطعام في بيت أبي أيوب يحمل قيمة أخرى عما سبق..

فلقد كانت الأطباق تلمسها يد الرسول الكريم ﷺ في اليوم مرات، وهوالشيء الذي لم يحدث من قبل..

كانت أم أيوب تعد الطعام لرسول الله ﷺ، وعندما ينتهي منه، تتحسس هي وزوجها مكان أصابع النبي ﷺ.. فيفوزان ببركتها.

وذات يوم صعدت أم أيوب لتأخذ ما تبقى من طعام رسول الله ﷺ، لتجده كما هو..

فانزعجت وأبلغت أبا أيوب الذي انزعج بدوره خشية ألا يكون الطعام قد أعجبه.

إلا أن الرسول ﷺ شكرهما معتذرا بلطف مبررا موقفه بأن الطعام كان به ثوم، وأن الملائكة تتأذى من رائحته.

أحب أبو أيوب الرسول ﷺ حبا ملك عليه قلبه..

وأحب الرسول ﷺ أبا أيوب وبيته حبا شديدا.. حتى إنه اعتبره بيته فعلا..

وبعد سبعة أشهر، اكتمل بناء المسجد النبوي، وبنى الرسول ﷺ له مسكنا فيه..

إذن لقد جاء الوقت الذي سيترك فيه الرسول ﷺ بيت أبي أيوب ، لينتقل إلى مسكنه الدائم.

كان صعبا على أبي أيوب بعد هذا كله، أن يأتي الوقت الذي يستأذنه الرسول ﷺ للخروج من بيته إلى مسكنه الذي بناه في المسجد النبوي..

ولكنه لم يكن منطقيا أيضا أن يظل الرسول ﷺ بقية حياته عند أبي أيوب.. ولكنها سنة الحياة.. ولحظات الفراق المكتوبة.

ورغم أن المسافة بينهما لم تكن بعد انتقال النبي ﷺ إلا عشرات الأمتار..

إلا أنه فراق الأحبة ..

ويساند أبو أيوب الرسول ﷺ والصحابة في رحلتهم لإقامة الدولة الإسلامية وصد العدوان الخارجي الذي يهدف للقضاء عليهم وعلى الإسلام، فيشارك في كل الغزوات..في بدر وأحد والخندق وفتح مكة ومؤتة وحنين وتبوك.

لم يتخلف عن غزوة في عهد رسول الله ﷺ..

كان أبو أيوب محترف جهاد..

لا يكاد ينادي منادي الجهاد حتى ترن في أذنيه الآية الكريمة..

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ..﴾ [التوبة: ٤١].

وفي السنة الحادية عشرة من الهجرة توفي رسول الله ﷺ.. ليستكمل أبو أيوب جهاده مع خلفائه ﷺ ويشارك دون تردد في كل قتال وأي قتال كتب على المسلمين.

إلا مرة واحدة.. كان أبو أيوب معترضا على اختيار خليفة المسلمين لقائد شاب صغير على الجيش، فلم يشارك في القتال، إلا أنه ما لبث أن ندم بعدها أشد الندم، فكان يقول في أسى والدموع تترقرق في عينيه:

ما علي من استعمل علي..؟

كان يؤنب نفسه ويقول لها:

ما الذي يضيرك من كان أميرا عليك..

وربما كان هذا دافعا لأبي أيوب أن لا يترك معركة أو فتحا أو أي قتال في عهود كل الخلفاء.. إلا وشارك فيه.

وكان من الصعب جدا على رجل مثل أبي أيوب، وهب حياته كلها للجهاد في سبيل الله..أن يحدث أمامه ما حدث لعثمان ثم في عهد علي بن أبي طالب من أحداث الفتنة الكبرى..

كان من الصعب عليه وعلى أي مجاهد أن يرى أصحاب رسول الله ﷺ يقفون بالسيوف وجها لوجه..

إلا أنه كان من المستحيل أيضا بالنسبة له، أن يقف موقف المتفرج..

فانضم إلى جيش علي ضد معاوية.

ولما هزم جيش علي، لم ير نفسه إلا مجاهدا في سبيل الله أيا كانت الأرض وأيا كان القائد..

وتمر سنوات وراءها سنوات، وأبو أيوب يهب حياته كلها للجهاد في سبيل الله.

إلى أن جاء عهد زيد بن معاوية..

و يأتي الموقف الذي يزين به حياته المجاهدة..

في محاولة فتح القسطنطينية .

* * *

القسطنطينية أو إستانبول..

المدينة التي بشر الرسول ﷺ المسلمين بفتحها في غزوة الخندق..

المدينة التي راودت أحلام الخلفاء.

كان لموقع القسطنطينية المتميز أكبر الأثر في اتجاه أنظار المسلمين إلى فتحها، وانتزاعها من الإمبراطورية البيزنطية التي كانت مصدر قلق دائم للدولة الإسلامية، وضم تلك اللؤلؤة العزيزة إلى

عقد الإمبراطورية الإسلامية الواعدة.

وفي عام (٤٩) هـ وفي عهد معاوية بن أبي سفيان، كان قد جاء الوقت لمحاولة فتحها..

وكان في مقدمة الأهداف التى وضعها معاوية نصب عينيه.. فتح القسطنطينية، تلك المدينة الجميلة الساحرة، أشهر مدن الدولة البيزنطية وعاصمتها المتألقة.

واستطاع معاوية في مدة وجيزة، أن يجهز لأول حملة بحرية إلى القسطنطينية (سنة ٤٩ هـ = ٦٦٩م)، حشد لها جيشا ضخما، وشارك فيها عدد كبير من الصحابة منهم « عبد الله بن عمر» و«عبد الله بن عباس» و« أبو أيوب الأنصاري» رضي الله عنهم وجعل عليها «سفيان بن عوف»، وأخرج معه ابنه « يزيد بن معاوية».

ويعلم أبو أيوب الأنصاري بتحرك الجيش وهو يحمل على أكتافه ثمانين عاما كاملة، فلا يتخلف، ويصر على الخروج..

كان أبو أيوب قد ضعفت صحته حتى سقط حاجباه..إلا أنه لم يتخيل يوما أن يكون حيا ولا يجاهد في سبيل الله..

كان يتخيل نفسه أحد شخصين..

إما مجاهد أو شهيد..

وكان أبوأيوب قد اقترب جدا من الاختيار الثاني...

وفي أثناء المعركة، ونتيجة للسوء الشديد في الأحوال الجوية وبرودة الجو، أصيب أبو أيوب بمرض شديد أقعده عن القتال.

ويذهب إليه يزيد بن معاوية ويشعر أنها ربما تكون هي المعركة الأخيرة التي يختتم بها أبو أيوب رحلة جهاده، فيقول له وكأنه يودعه:

- آلك حاجة يا أبا أيوب؟.

وحتى اللحظة الأخيرة..لا يريد أبو أيوب أن يتنازل عن أحلامه في الجهاد.. فينظر إلى يزيد بعينين مرهقتين وهو يقول وقد بدا عليه الوهن الشديد:

- اقرأ عنى السلام على جنود المسلمين، وقل لهم: يوصيكم أبو أيوب أن تتوغلوا في أرض العدو إلى أبعد غاية، وأن تحملوني معكم، وأن تدفنوني تحت أقدامكم عند أسوار القسطنطينية!

وبعدها.. غمضت عينا أبو أيوب ، بعد أن لفظ أنفاسه الأخيرة..

ووقف يزيد بن معاوية ينادي في جنوده ليخبرهم وصية أبي أيوب..

وانطلق الجنود في مسيرتهم نحوأسوار القسطنطينية وهم يحملون رجلا يشعرون أنه يحارب معهم وهو قد فارق الحياة..

كان أبو أيوب يريد أن يسمع وقع أقدامهم في قبره تحت أسوار القسطنطينية، فيدرك أنهم قد اقتربوا من تحقيق بشارة الرسول ﷺ بفتح القسطنطينية.

ووصل الجيش فعلا إلى أسوار القسطنطينية، وما أن وصلوا.. حتى أمر يزيد بدفن الصحابي الجليل « أبي أيوب الأنصاري».

بعدها نظر إليه الجنود نظرة واعدوه فيها على النصر.. لكن أسوار القسطنطينية الصعبة حالت دون تحقيق الوعد، فلقد كان الرومان على قوة كبيرة بما يمتلكوه من جيوش وأسلحة حديثة.

ودارت معركة حامية، سقط فيها من المسلمين الكثير، ولم يستطيعوا أمام علوالأسوار أن يقتحموها.. ولم يكن هناك بد من أن يعود الجيش وتفشل الحملة..

وكأن أبا أيوب في قبره لا ييأس من تحقيق الحلم، فينتظر حملة سليمان بن عبد الملك في محاولة ثانية عام (٩٨ هـ = ٧١٧م)..

إلا أن المحاولة تبوء بالفشل للمرة الثانية.

وفي عام (٨٥٧هـ = ١٤٥٣م) وبعد عدة قرون، يأتي القائد العظيم محمد الفاتح ليبشر أبا أيوب أخيرا بفتح القسطنطينية.

لقد أحب أبو أيوب الجهاد في سبيل الله كأشد ما يكون الحب..

وأصبح أبو أيوب رمزا من رموز الجهاد، كان يتوجه إليه الرومان أنفسهم حتى قبل أن يدخل الإسلام القسطنطينية.

فلقد كانوا ينظرون إليه نظرة قديس.

وأصبح أبوأيوب وجهة لآلاف المسلمين إلى يومنا هذا .. يذهب إليه المسلمون كل يوم يصلون في مسجده..لا ليتذكروا جهاده الأسطوري فحسب.. بل ليتذكروا كلماته الرقيقة التي كان يرددها عن رسول الله ﷺ، والتي كانت تنم عن نفس هادئة راضية مستريحة:

« إذا صليت فصل صلاة مودع.. ولا تكلمن الناس بكلام تعتذر منه.. والزم اليأس مما في أيدي الناس» .

وداعا أبا أيوب..

وداعا أيها المجاهد الرقيق..

وداعا مؤقتا..

إلى أن نلتقي إن شاء الله تعالى.

* * *

دروس وتحليل

١ - الإسلام يقبل الفن الهادف ويدعواليه، ويرفض الفن الذي يدمر المجتمع ويحاربه (المدينة تستقبل الرسول ﷺ بنشيد طلع البدر علينا).

استقبلت المدينة الرسول ﷺ بالنشيد التاريخى (طلع البدر علينا) ولم ينكر الرسول ﷺ ذلك، ولم يوجه لهم اللوم؛ لأن الاستقبال لم يكن بآيات القرآن الكريم، لم يفعل الرسول ﷺ ذلك.. بل إن الرسول ﷺ كان في قمة السعادة بهذا الاستقبال الأسطوري من أهل المدينة، في إشارة واضحة وقوية لإباحة الإسلام للغناء، والفن الهادف البناء.

إن الإسلام لا يحرم الفن على إطلاقه، بل يحرم ويحارب الفن الهابط الساقط الذي يدمر الشباب ويهوي بالمجتمع إلى الهاوية، من أجل حصد ملايين الأموال في جيوب المنتجين والفنانين غير الملتزمين...

إن ما يحدث الآن على الفضائيات وفي السينما فاق كل تصور، ولا يمكن إطلاق اسم فن عليه من الأصل.

والثمن.. يدفعه الوطن.

٢ - الصحبة الصالحة (والعمل الجماعى) ترفع الكفاءة الإيمانية للمسلم، وترفع درجة المراقبة وتقلل المعصية وترفع الهمة (أبو أيوب الأنصاري يستضيف الرسول ﷺ في بيته).

تخيل أنك تعرضت لموقف أبي أيوب الأنصاري باستضافة الرسول ﷺ في بيتك، ما الذي سيؤديه ذلك من تغير في السلوك بالصورة التي يرضى عنها الله ورسوله ﷺ..

فإننا نريد أن نخرج من هذا الموقف، بأن الإنسان دائما (وهو منفرد بنفسه) تقل كفاءته الإيمانية والتعبدية وتبتعد سلوكياته (كل حسب درجة إيمانه) عن الصورة المثالية التى يرضى عنها، ولكن بمجرد أن ينضم إليك صديق يوصف بالالتزام والتدين، تجد كفاءتك الإيمانية في ازدياد، وتجد إن مراقبتك لله عز وجل قد ارتفع مؤشرها، وأن الخجل سيمنعك من ارتكاب المعصية التي تقدم عليها في خلوتك.

لذا ينصح دائما بالعمل الجماعى في التربية وتغيير السلوك، وحتى في القيام بالمهمات الخدمية والإدارية، فذلك سيرفع من كفاءة العمل وينجزه في وقت أقل، بشرط.. أن تكون الصحبة صالحة.

٣- الإسلام دين ذوق ومشاعر راقية (أبو أيوب وزوجته يتحرجان جدا من وجودهما في الطابق العلوي فوق الرسول ﷺ).

ظلم الإسلام بتصرفات العديد من الذين التزموا به عن سوء فهم، فأعطوا صورة عن المتدين

أنه شخص عبوس الوجه جامد المشاعر لا يهتم بالذوقيات، وفي الحقيقة أن الإسلام حث المسلم على الابتسام في وجه الناس ورفع البسمة إلى مرتبة الصدقة، ودعا إلى التفاؤل وحرم التشاؤم في أحلك الظروف، وحث على الأمل مهما كانت الأزمات، وجعل مرتبة الأخلاق فوق مرتبة العبادة بعد الفروض، وكتب الأحاديث النبوية المليئة بالآداب الإسلامية التي يوصى باتباعها مع الكبير والصغير والطفل والمرأة والشيخ، والمسلمين وغير المسلمين..

إن الإسلام دين قائم على محبة الله وحب الخير للناس، فكيف يكون بعيدا عن الذوق ومشاعر اللطف والرحمة ؟!

٤- الكرم صفة لا ترتبط بالفقر والغنى (زوجة أبي أيوب ترحب بالرسول ﷺ ومن معه من الصحابة رغم فقرهم) .

يظن الناس أن الغنى صفة لازمة للكرم، وأن الفقر يمنع الإنسان من أن يكون كريما، فالغنى لابد أن يكون كريما والفقير لابد أن يكون بخيلا ، والواقع يشهد ما ينفى هذا التصور، فنجد صورا للكثير من الأغنياء بخلاء، وربما يكون هذا الشح على أقرب الناس إليه كالزوجة والأولاد، وفي المقابل.. نجد صورة الفقير الكريم الذي يعرف بين الناس بكرمه مع ضيوفه رغم ضيق ذات يده.

إن صفة الكرم صفة لا ترتبط بالغنى والفقر، ولكنها ترتبط بشخصية الإنسان وحبه للناس والرغبة في إدخال السرور عليهم، بغض النظر عن ماذا يمتلك.. وكم يمتلك.

٥- الإخلاص يربي المسلم على الارتباط بالمبدأ لا بالشخص (ندم أبي أيوب على عدم خروجه في جيش كان على رأسه شاب صغير لم يكن راضيا عن قيادته للجيش).

يعد الإخلاص هوأخطر قضية في حياة المسلم على الإطلاق، فهوالقيمة التى توزن بها الأعمال يوم القيامة، وقد ركزت التربية الإسلامية عليه لعلمها أن الإسلام ما كانت ستقوم له قائمة إلا بإخلاص العمل لله.. لا للأشخاص، وأن ارتباط العمل بالشخص يعنى نهاية العمل بموته، وهو ما لم يحدث بعد وفاة الرسول ﷺ نفسه، فرغم صدمة المسلمين القوية بعد وفاته، إلا أن الإيمان بالله ظل هو قلب رسالة الإسلام، والذي مكنها بعد ذلك من الحياة والانتشار في ربوع العالم.

إن مبدأ الإخلاص والعمل من أجل نيل رضا الله قبل الأشخاص، مبدأ أساسى وضروري للنجاح في حمل أية قضية أو نشر أية رسالة، أو تحقيق النجاح المنشود في أي عمل أو أي مؤسسة أو شركة أو مصنع، وهو سبيل لنهضة أي أمة إذا أخلص رجالها النوايا في العمل من أجل رضا الله ونيل الثواب، بتحقيق المصلحة العامة ولو على حساب إنكار الذات والشهرة والمكسب المادي، والمجتمعات العربية لن تنهض طالما ظل مبدأ المصلحة الخاصة هوالأصل، والعمل لصالح الأشخاص.. لا لصالح الأوطان.

٦- من الممكن أن ينال المسلم الشهادة خارج ميدان المعركة الحربية، بالنية الخالصة.

كان حلم أبي أيوب المتواصل أن ينال الشهادة في سبيل الله، وظل يحلم بهذه الشهادة حتى وصل

سنه إلى ثمانين عاما، ورغم ضعفه وتدهور حالته الصحية، أصر على الخروج في محاولة فتح القسطنطينية، حتى أصبح أسطورة المجاهدين في تركيا..

وأمنية الشهادة في سبيل الله أمنية عزيزة يتمناها ملايين الشباب، ومن رحمة الله.. أن جعل هذه الأمنية قابلة للتحقق ولو لم يحارب من يريدها في ساحة المعركة، فجعلها لطالب العلم الذي يخرج كل يوم إلى مدرسته أو جامعته، وجعلها لمن يدافع عن بيته ضد أي عدوان، وجعلها لمن مات حتى على فراشه، بشرط أن يسألوا الله الشهادة بصدق وإخلاص.

إن الإسلام يحرص على تعلق الإنسان بالشهادة في سبيل الله، ليس بغرض الرغبة في القتال الدائم والبحث على الموت، ولكن بغرض التعلق بالآخرة والتخفف من التعلق الزائد بالدنيا، وتحقيق العزة والكرامة للفرد المسلم والمجتمع المسلم.

وصدق أبو بكر الصديق حين قال للمسلمين في حروب الردة:

« اطلبوا الموت، توهب لكم الحياة » .

* * *